سفر الخروج ١٥: ٢٢-٢٧
"رواية بدء" لمسيرة الصحراء وصولاً إلى أرض الميعاد

الأب أنطوان عوكر
دكتور في لاهوت الكتاب المقدّس

مقدِّمة

نظر المفسِّرون إلى سفر الخروج من زوايا عديدة ومتنوِّعة. كثيرون قاربُوه من زاوية جغرافيَّة دارسين تنقُّلات الشعب واحتمال وجود طرق عدَّة أو مراحل عدَّة للخروج. نجد أيضًا مقاربات تاريخيَّة لسفر الخروج تُعالج الحقبات التاريخيَّة التي تمَّ خلالها الخروج من مصر، وتقارنها مع المعطيات التاريخيَّة للسلالات الفرعَونيَّة التي حكمت مصر خلال فترة الخروج. أمَّا التفاسير الأوسع انتشارًا والأكثر شيوعًا فهي التفاسير التاريخيَّة النقديَّة التي تحاول دراسة طبقات النصّ والتقاليد التي تعود إليها هذه الطبقات (اليهوهيَّة، الإلوهيميَّة، التثنويَّة، الكهنوتيَّة). يتعاطى هذا النوع من القراءة مع النصّ على مستوى دياكْرونيّ، أي على مستوى تعدُّد الأزمنة التي تكوَّن خلالها النصّ. نشير أخيرًا إلى أنَّ هذا النوع من القراءة لا يخلو من الفرضيَّات التي لا يتوافق عليها المفسِّرون في معظم الأحيان.

لا نُلغي أهمِّيَّة هذه الدراسات المختلفة للكتاب المقدَّس عامَّة، ولسفر الخروج خاصَّة، ولكنَّنا سوف نتوقَّف على القراءة الأدبيَّة التي تتعاطى مع النصّ في شكله النهائيّ. تندرج هذه القراءة في إطار "تزامنيّ" سنْكْرُونيّ؛ ففي هذا النوع من القراءة يقلُّ طرح الفرضيَّات المرتبطة بمراحل تكوين النصّ. يُفسِّر هذا النوعُ النصَّ كما أراده الكاتب الأخير.

الموضوع الذي نُريد أنْ نعرضه في هذا البحث يتعلَّق بمكانة نصّ خر ١٥: ٢٢-٢٧ الأدبيَّة في السياق السرديّ لسفر الخروج وللأسفار اللاحقة. يُشكِّل هذا النصّ، برأينا، نصًّا بَدئيًّا يفتتح المسيرة في الصحراء، وَيحتوي على تصميم متكامل لأبرز الموضوعات اللاهوتيَّة في هذه المسيرة، حتَّى وصول الشعب إلى أرضِ الميعاد. سوف يشتمل بحثنا على ثلاث محطَّات تقودنا إلى برهنة هذه المكانة الأدبيَّة المميَّزة للنصّ الذي ندرسه. في مرحلة أولى، نُفسِّر النصّ بالطريقة الأدبيَّة البسيطة؛ في مرحلة ثانية، نعرض بشكل مقتضب ماهيَّة ما يعتبرُه بعضُ المفسِّرين "نصًّا بَدئيًّا"؛ تأتي أخيرًا المرحلة الثالثة لتُبرهن اعتبارَنا نصّ خر ١٥: ٢٢-٢٧ نصًّا بَدئيًّا.

١- قراءة تفسيريَّة لنصّ خر ١٥: ٢٢-٢٧

تقوم دراسة نصّ خر ١٥: ٢٢-٢٧ أوَّلاً، على إلقاء نظرة إجماليَّة على سفر الخروج، والتركيز على الدور الذي يلعبه هذا النصّ في السياق السرديّ؛ ثانيًا، على دراسة إطاره الكتابيّ وحدوده ووحدته؛ ثالثًا، على إبراز بنية النصّ الأدبيَّة وأفكاره اللاهوتيَّة الأساسيَّة.

أ. مكانة نصّ خر ١٥: ٢٢-٢٧ في سياق سفر الخروج

اقترح المفسِّرون تصاميم متعدِّدة لسفر الخروج. نظرة سريعة إلى كتب التفاسير تُظهر مدى التنوُّع في نَهج قراءة السفر والزوايا التي قُرِئ فيها هذا السفر. نجد تصاميم من قسمَين أو ثلاثة، حتَّى سبعة أقسام أو أكثر. لن ندخل في استعراض هذه التصاميم، نُعطي فقط نموذجًا عن هذه التعدُّديَّة.

لا بدَّ لتصميم من قسمَين إلاَّ أنْ يتوقَّف على البعد الجغرافيّ للخروج وعلى عمل الربّ في مسيرة الشعب. اقترح دوزمان[1] بنية من قسمَين على الشكل الآتي:

(١) قوَّة الربّ في مصر (١: ١ – ١٥: ٢١)

(٢) حضور الربّ في الصحراء (١٥: ٢٢ – ٤٠: ٣٨)

في حين أنَّ هاميلتون[2] وسَّع البنية إلى سبعة أقسام مُفنِّدًا الموضوعات المطروحة كالآتي:

(١) الاضطهاد في مصر (١: ١ – ٦: ١)

(٢) التحرير من مصر (٦: ٢ – ١٥: ٢١)

(٣) زمن التجربة في الصحراء (١٥: ٢٢ – ١٨: ٢٧)

(٤) العهد والشريعة في سيناء (١٩: ١ – ٢٤: ١٨)

(٥) كيفيَّة بناء المقْدِس (٢٥: ١ – ٣١: ١٨)

(٦) العجل الذهبيّ وتجديد العهد (٣٢: ١ – ٣٤: ٣٥)

(٧) بناء المقْدِس ومجد الربّ يحلُّ فيه (٣٥: ١ – ٤٠: ٣٨)

نلاحظ في مُعظم البُنى التي اعتمدها المفسِّرون أنَّ النصّ الذي يستوقفنا (خر ١٥: ٢٢-٢٧) يلعب دورًا مفصليًّا في سياق سفر الخروج: يفتتح مسيرة العبرانيِّين في الصحراء بعد خروجهم من مصر.

مِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ النشيد المزدوج (موسى ومريم) الوارد في القسم الأوَّل من الفصل ١٥ (١٥: ١-٢١) يُتوِّج الخروج من مصر وعبور البحر ويحتفل به. يُنهي هذا النشيد الخروج من مصر ويفتتح المسيرة صوب أرض الميعاد. يُعلن أنَّ قدرة الربِّ التي أخرجت الشعبَ من مصر وانتصرَت على فرعون سوف ترسِّخ ثقة الشعب بأنَّ الربَّ سيقوده في البرِّيَّة وصولاً إلى أرضِ الميعاد.

من جهة أُخرى، يُشكِّل الدور الذي تلعبه النساء في مسيرة سفر الخروج علامة فارقة في تحقيق مشروع الله الخلاصيّ. أبرَزَ مُحرِّرُ السفر الأخيرُ هذا الدور حين وضعَه بشكل إحاطة كبرى للقسم الأوَّل من سفر الخروج (١: ١ – ١٥: ٢١). كان للنساء دور خلاصيّ بارز في مسألة الخروج: قابِلتَا العبرانيَّات (١: ١٥-٢١)؛ أُختُ موسى وابنةُ فرعون (٢: ١-١٠). في ختام الخروج تُوسِّع مريم أختُ موسى دور النساء الخلاصيّ، حيث تلعبُ دورًا نبويًّا في قيادة الشعب بأكمله مُسهمة في إعطاء معنى الخلاص من المياه (١٥: ٢٠-٢١). بكلمة واحدة، سوف يُشكِّل هذا

[1] Thomas B. DOZEMAN, *Exodus*, Eerdmans Critical Commentary, USA, 2009.

[2] Victor P. HAMILTON, *Exodus, An Exegetical Commentary*, Baker Academic, USA, 2011.

الخلاص "النسائيّ" (أختُ موسى؛ أختُ هارون) من المياه (في المطلع من النهر، وفي الختام من البحر) إحاطة تَفصل القسم الأوَّل من سفر الخروج، وتُبرِز الدور المفصليّ للنصِّ الذي يلي (خر ١٥: ٢٢-٢٧).

يُشكِّل نصُّنا إذًا انطلاقة المسيرة في الصحراء، وافتتاح ما سيتعرَّض له العبرانيُّون من أخطار في مسيرهم نحو العبادة: "أطلِقْ شعبي ليعبدَني". علينا، من جهة أخرى، ألاَّ نحصر المسيرة في سفر الخروج. سوف نُتابع أسفار التوراة هذه المسيرة وصولاً إلى سفر يشوع الذي يُدخِل الشعب إلى أرض الميعاد.

خلاصة القول، يُشكِّل نصُّنا منعطفًا في مسيرة الشعب الجغرافيَّة-اللاهوتيَّة ضمن رمزيَّة المواقع الجغرافيَّة التي ستطبع ذاكرة العبرانيِّين: مصر، الصحراء، ماره، مسَّه، سيناء، الأردنّ... من هنا يُطرح موضوع الدور الأدبيّ الذي سيلعبُه النصُّ الذي نُعالجه.

ب. إطار نصّ خر ١٥: ٢٢-٢٧ الكتابيّ وحدوده ووحدته

يبدأ نصُّنا بمسيرة هي في الواقع متابعة لمسيرة سابقة؛ فالنصوص السابقة تكلَّمت على محطَّات في مسيرة يقوم بها العبرانيُّون. بعد تحقيق الضربة العاشرة ضدَّ المصريِّينَ (موت الأبكار) (١٢: ٢٩)، نجد ذكرًا أوَّل لمسيرة العبرانيِّين: من رعمسيس إلى سكُّوت (١٢: ٣٧). وبعد عرض أحكام الفصح (١٢: ٤٣ي)، وأمر تقديس كلِّ بكر للربِّ وأحكام الفطير (١٣: ١ي)، نقرأ ذكرًا ثانيًا للمسيرة: حوَّل اللهُ الشعب إلى طريق برِّيَّةِ بحرِ القصب (١٣: ١٨). ثمَّ رحلُوا من سكُّوت وخيَّمُوا في إيتامَ في طرفِ البرِّيَّةِ (١٣: ٢٠). بعد ذلك أمرهُم الربُّ أنْ يرجعُوا ويُخيِّمُوا أمامَ فمِ الحيروت، بين مجدول والبحر، وأنْ يُخيِّمُوا أمامَ بعل صفون على البحر (١٤: ٢).

وبعد مُعجزة البحر وخلاص إسرائيل وغرق المصريِّين، يُنشد موسى والعبرانيُّونَ ومريم أخت هارون نشيدهم (١٥: ١-٢١). يأتي نصُّ مياه مارَّة بعد هذا النشيد؛ يبدأ بذكر المسيرة من بحر القصب نحو برِّيَّةِ شورَ وينتهي في إيليم (١٥: ٢٢ و٢٧).

حدود نصِّنا واضحة. هناك إحاطة في النشيد المزدوج الذي يسبقه. تأتي مريم أخت هارون في الختام لتُكرِّر مطلع النشيد: إنشاد الربّ لأنَّه تعظَّمَ تعظيمًا. الفرس وراكبُه في البحرِ أَلقاهُما (١٥: ١ و٢١). أمَّا مطلع الفصل السادس عشر الذي يلي نصَّنا فيواصل المسيرة من إيليم إلى برِّيَّة سين التي بين إيليم وسيناء، ولكنَّه يفتح على موضوعات أخرى (الجوع والعطش والأعداء وضرورة التنظيم): المنُّ والسلوى (خر ١٦)، الماء الخارج من الصخرة (١٧: ١-٧)، الانتصار على العمالقة (١٧: ٨-١٦)، لقاء موسى ويترو (خر ١٨). هذه الملاحظات الأدبيَّة تُحدِّد نصَّنا بشكل جليٍّ. والنصُّ بحدِّ ذاته ينقلنا من الحركيَّة (آ ٢٢) إلى الاستقرار (آ ٢٧).

أمَّا وحدة النصّ فتأتي نتيجة وحدة الموضوع المطروح:

آ ٢٢: ساروا ثلاثة أيَّام في البرِّيَّة ولم يجدُوا ماءً

آ ٢٣: وصلوا إلى مارَّة، فما استطاعوا شرب مياهها

آ ٢٧: وصلُوا إلى إيليم حيث توجد اثنتا عشرة عين ماء (وسبعون نخلة)؛ هناك خيَّمُوا عند المياه.

من هنا نعتبر أنَّ نصَّنا يكوِّن وحدة أدبيَّة متكاملة ومنخرطة في إطاره ضمن سفر الخروج. يُمكننا بالتالي درس بنيته الأدبيَّة وأفكاره اللاهوتيَّة. وسنسعى لاحقًا إلى تحديد مدى ارتباطه بالسياق الوارد فيه.

ج. بنية نصّ خر ١٥: ٢٢–٢٧ وأفكاره اللاهوتيَّة الأساسيَّة

نُترجم النصَّ الذي سندرسه ترجمة حرفيَّة من النصّ العبريّ. نورد أوَّلاً النصَّ العبريّ وترجمته العربيَّة بين السطور[٣]، ومن ثمَّ نعرض نصًّا عربيًّا متواصلاً.

22 וַיַּסַּע	מֹשֶׁה	אֶת־יִשְׂרָאֵל	מִיַּם־סוּף	וַיֵּצְאוּ	אֶל־מִדְבַּר־שׁוּר	וַיֵּלְכוּ
ورَحَّلَ	موسى	إسرائيلَ	مِنْ بَحرِ سوفَ	فَخَرَجُوا	إلى بَرِّيَّةِ شورَ	وسارُوا
שְׁלֹשֶׁת־יָמִים	בַּמִּדְבָּר	וְלֹא־מָצְאוּ	מָיִם: 23 וַיָּבֹאוּ	מָרָתָה	וְלֹא יָכְלוּ	לִשְׁתֹּת מַיִם
ثلاثَةَ أيّامٍ	في البرِّيَّةِ	فَما وَجَدُوا	مياهًا فَأَتَوا	إلى مارَّةَ	فما قَدِرُوا	شُربَ مياهٍ
מִמָּרָה כִּי	מָרִים הֵם	עַל־כֵּן	קָרָא־שְׁמָהּ	מָרָה: 24 וַיִּלֹּנוּ	הָעָם	עַל־מֹשֶׁה לֵאמֹר
مِنْ مارَّةَ لأنْ	مُرَّةٌ هي	لذلِكَ	دَعا اسمَها	مارَّةَ وَتَذَمَّروا	الشعبُ	على موسى قائلينَ
מַה־נִּשְׁתֶּה:	25 וַיִּצְעַק	אֶל־יְהוָה	וַיּוֹרֵהוּ	יְהוָה	עֵץ	וַיַּשְׁלֵךְ	אֶל־הַמַּיִם	וַיִּמְתְּקוּ
ماذا نَشرَبُ	فَصَرَخَ	إلى يهوه	فَأَراهُ	يهوه	شجرةً	فَطَرَحَ	في المياهِ	فَعذبَتْ
הַמַּיִם שָׁם	שָׂם לוֹ	חק	וּמִשְׁפָּט	וְשָׁם	נִסָּהוּ: 26 וַיֹּאמֶר	אִם־שָׁמוֹעַ	תִּשְׁמַע	לְקוֹל
المياهُ	هُناكَ وَضَعَ	لَهُ فريضَةً	وَحُكمًا	وَهُناكَ	امتَحَنَهُ وَقالَ	إذا سَماعًا	تَسمَعُ	لِقَولِ
יְהוָה אֱלֹהֶיךָ	וְהַיָּשָׁר	בְּעֵינָיו	תַּעֲשֶׂה	וְהַאֲזַנְתָּ	לְמִצְוֹתָיו	וְשָׁמַרְתָּ	כָּל־חֻקָּיו
يهوه إلهِكَ	والمُستَقيمَ	في عَينَيهِ	تَصنَعُ	وَتُنْصِتُ	لوصاياهُ	وَتَحفَظُ	كُلَّ فرائضِهِ
כָּל־הַמַּחֲלָה	אֲשֶׁר־שַׂמְתִּי	בְמִצְרַיִם	לֹא־אָשִׂים	עָלֶיךָ	כִּי אֲנִי	יְהוָה רֹפְאֶךָ:
كُلَّ الضرباتِ	التي وَضَعتُ	في المصريِّينَ	لا أَضَعُ	عليكَ	لأنْ أنا	يهوه شافيكَ
27 וַיָּבֹאוּ	אֵילִמָה	וְשָׁם	שְׁתֵּים	עֶשְׂרֵה	עֵינֹת	מַיִם	וְשִׁבְעִים	תְּמָרִים	וַיַּחֲנוּ־שָׁם
وأَتَوا	إلى إيليمَ	وهُناكَ	اثنتا	عشرَةَ	عينَ	مياهٍ	وَسَبعونَ	نَخلَةً	فَخَيَّمُوا هُناكَ

עַל־הַמָּיִם:
على المياهِ

[٢٢]ورَحَّلَ موسى إسرائيلَ مِن بحر سوفَ، فخرجُوا إلى برِّيَّةِ شورَ، وسارُوا ثلاثةَ أيَّامٍ في البرِّيَّةِ، فما وجدُوا مياهًا. [٢٣]فأتَوا إلى مارَّةَ، فما قدرُوا شُربَ مياهٍ مِن مارَّةَ لأنْ مُرَّةٌ هي؛ لذلكَ دعا اسمَها مارَّةَ. [٢٤]وتذمَّرَ الشعبُ على موسى قائلينَ: "ماذا نشربُ؟"؛ [٢٥]فصَرَخَ إلى يهوه، فأراهُ يهوه شجرَةً، فطَرَحَ في المياهِ، فَعذبَتِ المياهُ. هناكَ وَضَعَ لَهُ فريضَةً

[٣] بولس الفغالي وأنطوان عوكر، **العهد القديم العِبريّ؛ ترجمة بين السطور: عِبريّ–عربيّ**، الجامعة الأنطونيّة، ٢٠٠٧، ص ١١٤.

وَحُكمًا، وهناكَ امتَحَنَهُ. [٢٦]وقالَ: "إذا سماعًا تسمعُ لِقولِ يهوه إلهِكَ، والمُستقيمَ في عينَيهِ تصنَعُ، وَتُنصِتُ لوصاياهُ، وتحفَظُ كلَّ فرائِضِهِ، كُلَّ الضرباتِ التي وَضَعتُ في المصريِّينَ لا أضَعُ عليكَ، لأنْ أنا يهوه شافيكَ". [٢٧]وَأَتَوا إلى إيليمَ، وَهُناكَ اثنتا عشرةَ عينَ مياهٍ، وسبعونَ نخلةً. فخيَّمُوا هناكَ على المياهِ.

يُمكننا أنْ نبني النصَّ متوقِّفين على موضوعه المُفترَض وهو موضوع المياه. هناك بنية سرديَّة مُحتملة ترتكز على ما قيل في شأن المياه في النصّ: لا مياه/مياه مرّة/مياه عذبة/مياه كثيرة؛

آ ٢٢: لا مياه

آ ٢٣: مياه مرَّة

آ ٢٤: ماذا نشرب؟

آ ٢٥أ: مياه عذبة

آ ٢٧: مياه كثيرة

في الواقع تترك هذه البنية جانبًا الآيتَين ٢٥ب-٢٦، أو بالأحرى تلفت النظر إلى ميزتهما وموضوعهما الذي لا يرتبط عمليًّا بموضوع المياه. يدفعنا هذا الخلل في شموليَّة هذه البنية إلى أنْ نبحث عن بنية أخرى تشمل كلَّ عناصر النصّ. نرى أنَّ البنية "الجدليَّة" تناسب أكثر حركة النصّ والإشكاليَّة المطروحة فيه.

مقدِّمة (آ ٢٢): مسيرة ثلاثة أيَّام؛ لا مياه

الطرح (آ ٢٣-٢٤): مارَّة؛ عدم القدرة على الشرب؛ تذمُّر الشعب على موسى: ماذا نشرب؟

الطرح المعاكس (آ ٢٥أ): صرخة موسى؛ عذبَت المياه

التوليفة (آ ٢٥ب-٢٦): وضع الربُّ فريضة وحكمًا؛ الربّ المُمتحن؛ حفظ الوصايا والفرائض يشفي؛ الربّ الشافي

خاتمة (آ ٢٧): وجود مياه غزيرة؛ التخييم والاستقرار

نتوقَّف على بعض الأمور التفسيريَّة التي تلفت النظر إلى بعض المحطَّات الروائيَّة-اللاهوتيَّة في النصّ. يذكر الكاتب في الآية ٢٢ مدَّة المسيرة التي قام بها الشعب في البرِّيَّة: ثلاثة أيَّام؛ فرمزيَّة هذه المدَّة واضحة المعالم في العهد القديم (وصولاً إلى العهد الجديد). نراها في خر ٣: ١٨ حيث تنتهي بتقديم ذبيحة للربّ. إنَّها مدَّة العبور من الصعوبة إلى الخلاص والحياة في اللقاء مع الربّ. يظهر هذا المعنى واضحًا في هوشع (هو ٦: ١-٢). وَهذا ما فهمه الرسول بولس (والكنيسة الأولى) عندما اعتبروا أنَّ قيامة الربِّ يسوع في اليوم الثالث تمَّت "كما جاء في الكتب" (١ كور ١٥: ٤). من هنا نفهم كيفيَّة تمهيد الكاتب الملهم لزوال الشدَّة عن الشعب والوصول إلى الاستقرار في نهاية النصّ.

يظهر في الآية ٢٣ بُعد إتيولوجيّ (تفسير جذر اسم): ترابط بين مرارة المياه واسم المكان "مارَّة". لكنَّ هذه الرواية ليست في الواقع رواية إتيولوجيَّة بالمعنى الحصريّ، لأنَّها سوف تقودنا إلى أبعاد أُخرى أعمق من هذا التفصيل العابر.

نُلاحظ أنَّ الجواب على تذمُّر الشعب "ماذا نشرب؟" (آ ٢٤) جاء في مرحلة أولى من الربَّ عندما "أراه (لموسى) شجرةً" (آ ٢٥). شدَّد مُعظم المفسِّرين على ارتباط فعل "أرَى" العبريّ (راجع النصّ بين السطور) واسم التوراة؛ كما أنَّ كثيرًا منهم ربطُوا فكرة "شجرة" بشجرة الحياة في بدء سفر التكوين. من جهة أخرى، إذا تابعنا قراءة النصّ نجدُ أنَّه لا يذكر أنَّ الشعب شرب. قراءة بقيَّة النصّ تكشف أنَّ مادَّة الشرب ستكون "الشريعة" المرموز إليها بالفريضة والحكم وقول الربّ والوصايا (آ ٢٥-٢٦). والربُّ يكون الشافي بواسطة هذه الشريعة.

يبدو أخيرًا أنَّ الأعداد الوارد ذكرها في الآية الأخيرة (آ ٢٧) هي أعداد رمزيَّة: اثنتا عشرة عين مياه تُشير إلى أسباط إسرائيل الاثنَي عشر، والسبعون نخلةً ترمز إلى عدد نفوس نسل يعقوب (تك ٤٦: ٢٧؛ خر ١: ٥) أو إلى شيوخ الشعب السبعين (خر ٢٤: ١؛ عد ١١: ١٦). بمعنى آخر، علامة شفاء الربِّ لشعبه هو كيان الشعب بحدِّ ذاته؛ وما على الشعب إلاَّ شرب التوراة.

أمَّا الأفكار اللاهوتيَّة التي يمكن استخلاصها من النصّ، فنوجزها كالآتي:

(١) عطيَّة الله هي الأساس دائمًا. قد يبدو أنَّ مسيرة الإنسان هي الأولى، ولكن، في الحقيقة، عطيَّة التحرير تسبق أيَّ عمل آخر. فقبل أنْ تكون شريعة لآدم، كان العيش في الجنَّة بإلفَة مع الله. وقبل أنْ تنزل الشريعة، كان التحريرُ من مصر. فالمبادرة الأولى تأتي دائمًا من الله، وتكون مبادرة سلام وخير وتحرير.

(٢) تطرأ صعوبات كثيرة على المؤمن في مسيرتِه. ولكنَّ الله حاضر دائمًا لإزالتها. مفتاح الشفاء هو العودة إلى الله والاتِّكال على عنايته. ليس الله مسؤولاً عن ديمومة الصعوبة، بل الإنسان المتشبِّثُ بخطيئته.

(٣) الله الشافي؛ الله الذي يُحوِّل الشرَّ إلى خير: المرارة إلى حلاوة. بهذا المعنى نُعلن أنَّ الله كلِّيَّ القدرة وضابط كلِّ شيء. إنه ضابط اقتياد المؤمن إلى الخلاص، وهو الضامن الوحيد لإيصال الذينَ يحبُّونه إلى الراحة والاستقرار.

بعد هذه الدراسة الشاملة لنصِّ مياه مارَّة، ننتقل إلى تبيان الدور الذي يلعبه النصّ في سياق سفر الخروج السرديّ. نَصِفُ هذا الدور بأنَّه دور "بَدئيّ". نتوقَّف تاليًا على مفهوم النصوص البدئيَّة ودورها في الكتاب المقدَّس (وفي البلاغة عامَّة). بعد ذلك نُبيِّن كيف يُشكِّلُ نصُّ مياه مارَّة مُختصرًا لمسيرة الصحراء التي تبدأ معه.

٢- النصوص "البدئيَّة" في الكتاب المقدَّس ودورها السرديّ

لسنا هنا بصدد عرض شامل لمفهوم النصوص البدئيَّة في الكتاب المقدَّس. نرغب فقط في هذا القسم التوقُّف عند نصوص كتابيَّة تلعب دورًا بارزًا في سرد السفر أو القسم الذي ترد فيه. من أجل أن يكون هذا الهدف واضحًا

ومفهومًا، نستعرض أوَّلاً ماهيَّتها وفكرة تصنيفها كنصوص "بَدئيَّة"،[٤] ومن ثمَّ نُعطي بعض أمثلة عن نصوص "بدئيَّة" من العهد القديم ومن العهد الجديد تُمهِّد لأسفار أو لأقسام من أسفار كتابيَّة.

أ. ماهيَّة "النصوص البدئيَّة"

يُشكِّل مفهوم البدء في حياة الإنسان وفي حياة الكون عامَّة مُعضلةً لا تنتهي فصولها. يُمكننا أنْ نُصنِّف البدء في خانتَين: البدء المُطلَق والبدء الخاصّ. يرتبط البدء المُطلَق ببداية الخليقة؛ إنَّه البدء الذي يتخطَّى اختبار الإنسان لأنَّه يسبقُه. لن ندخل في إشكاليَّة رواية البدء الأوَّليّ في مطلع سفر التكوين (وفي سفر المكَّابيِّينَ الثاني، في الفصل السابع)[٥]. يُرجَّح بأنَّ مضمون هذه الروايات ينطلق من واقع مَعيش، فَتُوضَع جذور هذا الواقع في البدء. إنَّها مسألة لا تَخلُو من الفرضيَّات، والدخول فيها يتخطَّى هدفنا هنا وحدود دراستنا.

بالمقابل، سوف نوسِّع معالجَتَنا لمسألة البدء الخاصّ. يكثر الكلام على البدء الخاصّ في الكتاب المقدَّس. هناك نصوص تروي بداية شخصيَّة كتابيَّة مُعيَّنة. قد تندرج هذه الرواية في ما نُسمِّيه "دعوة" أو "بشارة". نجد مثلاً دعوة إبراهيم (تك ١٢: ١-٤)؛ دعوة موسى (خر ٣-٤)؛ دعوة جدعون (قض ٦: ١١-٢٤)؛ دعوة صموئيل (١ صم ٣)؛ دعوة عاموس (عا ٧: ١٢-١٥)؛ دعوة أشعيا (أش ٦)؛ دعوة إرميا (إر ١)؛ دعوة بولس (أع ٩). من أبرز مميِّزات هذه الرواية البدئيَّة، رواية دعوة شخصيَّة مُعيَّنة، هناك تدخُّل إلهيّ (ملاك؛ الربّ؛ يسوع)، ومبادرة إلهيَّة أوَّليَّة واضحة، وعلاقة شخصيَّة في غياب شهود، أخيرًا رسالة مُعيَّنة تكون هدف الدعوة.

من جهة أُخرى، تبرز في الكتاب المقدَّس روايات بَدئيَّة ليست ببعيدة جوهريًّا عن رواية دعوة شخص؛ إنَّها روايات "بشارة" وتحديدًا بشارة بولادة شخص. نذكر منها: البشارة بولادة إسحق (تك ١٨)؛ البشارة بولادة صموئيل (١ صم ١)؛ البشارة بولادة شمشون (قض ١٣)؛ البشارة بولادة يوحنَّا المعمدان (لو ١)؛ البشارة بولادة يسوع (إلى مريم وإلى يوسف). ترتبط رواية البشارة بولادة شخص بحدث بَدئيّ خاصّ يتخطَّى اختبار الشخص المعنيّ. آخرونَ يشهدون لهذا الحدث وَيعرفونَ لاحقًا قيمة هذه "البشارة". يحتفظون بذكراها لأنَّ الشخصّ المعنيّ أظهر مسيرة مميَّزة مع الربّ. دوَّنها الكُتَّاب المُلهَمون شهادة لعمل الله الخلاصيّ ولقدرته الإلهيَّة على تحقيق مشروعِه.

هناك أيضًا روايات كتابيَّة تتميَّز عن سواها إذ تتطرَّق إلى بداية جماعيَّة (شعب إسرائيل؛ الرسل؛ الكنيسة...) أو بداية عمل خلاصيّ (انتصار في الحرب؛ الخروج من مصر؛ عبور الأردنّ؛ ميراث أرض الميعاد؛ فداء الربّ يسوع...). في الواقع هناك صعوبة تحديد صارم لهذا البدء. نُعطي أمثلة توضح هذه الصعوبة. ما هو الحدث المؤسِّس لشعب إسرائيل؟ نجد اقتراحات عدَّة للإجابة على هذا السؤال: عبور الأردنّ؛ عبور البحر الأحمر؛ الخروج من مصر؛ اختيار الربّ لإبراهيم ودعوته... مثال آخَر: حاول إرميا وبولس الإجابة على سؤال متى بدأت دعوته الشخصيَّة. لم يجدَا

---

[٤] نختصر في هذا العرض المحطَّات الأساسيَّة الواردة في كتاب:

Pierre GIBERT, *Bible, mythes et récits de commencement*, Parole de Dieu, Seuil, Paris, 1986.

[٥] يُمكننا أنْ نُضيف على مسألة هذا البدء الزمنيّ بدءًا من نوع آخر؛ ففي مطلع إنجيل يوحنَّا نقرأ كلامًا على "البدء"، لكنَّ هذا البدء يتخطَّى أيَّ بَدء، لا بل يتخطَّى أيَّ بُعد زمنيّ.

جوابًا حاسمًا بهذا الحدث أو ذاك، فجعلاَ دعوتهما تتجذَّر في أحشاء والدَتَيهما. ما نريد التركيز عليه هو أنَّ هذه الصعوبة تُبقي الباب مفتوحًا أمام تفاسير متعدِّدة واقتراحات مُحتملة لتحديد أيِّ بداية وبخاصَّة بداية دعوة شخص أو انطلاقة مجموعة أو شعب أو حدث مُعيَّن. من هنا نعتبر أنَّ طرحَنا ليكون حدث مياه مارَّة انطلاقة المسيرة في الصحراء طرحٌ مشروع، دون أنْ نلغي احتمالات أُخرى.

ب. أمثلة توضح دور النصوص البدئيَّة السرديّ

منذ النصوص الأولى من الكتاب المقدَّس برزت فكرة التحقيق النهيويّ لما هو في الأصل. حالة آدم الأولى هي حالة إلفة مع الله، هي حالة عيش في الفردوس. وبعد السقطة سوف يظهر المُعطى اللاهوتيّ الأساسيّ الذي يعتبر أنَّ ما سيتحقَّق لاحقًا وإسكاتولوجيًّا هو إعادة آدم إلى حالته الأصليَّة. تُلخِّص هذه المسألة جوهر الدور الذي تلعبه النصوص البَدئيَّة في الكتاب المقدَّس.

أوَّل ما نعرفه عن إبراهيم هو أنَّه كان أُمِّيًّا وثنيًّا (من أور الكلدانيِّين) وأصبح أوَّل المؤمنين. من هنا نفهم الدور الذي سيلعبه لاحقًا: "بنسلك تتبارك جميع الأمم". إنَّه دعوة لتحقيق ما هو بالقوَّة في جذور انطلاقته.

أوَّل ما نعرفُه عن موسى هو أنَّه انتُشِلَ من المياه؛ بنعمة الربّ حصل على الخلاص من الغرق في المياه. تأتي رسالتُه اللاحقة لتُتمِّم ما نالَه في انطلاقته. خُلِّص من المياه ليكون وسيلة خلاص لشعبِه من المياه.

تتجذَّر دعوة موسى في كلمة الربِّ الموجَّهة إليه من وسطِ العلَّيقة. كانت العلَّيقة تشتعل ولا تحترق (خر ٣: ٢). والعلَّيقة هنا ترمز بشكل واضح إلى شعب إسرائيل: الإطار المباشر، إن قبل النصّ أو بعده، يتكلَّم على الشعب الذي يُستَعبَدُ في مصر. ترائي الله في وسط العليقة بهذه الحالة يعني أنَّ الله يُكلِّم موسى من وسط شعبه ويقول له إنَّ الشعب الذي يُذَلُّ ويُستعبد وَيُقتَل في مصر (يشتعل)، لن يفنى (لا يحترق) بل سيُخلِّصه. وما مهمَّة موسى اللاحقة إلاّ تحقيق لهذا المشروع الخلاصيّ الذي ظهر في دعوته.

تُطبَّق هذه الملاحظة على نصوص عديدة أُخرى نذكر منها سريعًا: دعوة داود عندما كان يرعى ليُصبح راعيًا؛ يوحنَّا المعمدان "يُعمِّد" بالروح في أحشاء أُمِّه ليكون مُعمِّد يسوع وَمُعلنًا سرَّ يسوع بالروح؛ البشارة بيسوع ليوسف أوحَتْ باسْمَين "عمَّانوئيل" و"يسوع" سوف يُحقِّق متَّى مضمونهما في إنجيله؛ انطلاقة يسوع في مجمع الناصرة بحسب لوقا راسمًا بالتالي برنامجه في إنجيله؛ يُمكننا أنْ نجذِّر انطلاقة الكنيسة في حدث العنصرة[٦] مِمَّا يجعل رسالتها مرسومة في انطلاقتها: نقل الإنجيل إلى الأمم بلغة تفهمها كلُّ أُمَّة.

[٦] هناك احتمالات أُخرى تقودنا إلى زوايا مختلفة في رسالة الكنيسة.

يتَّضح، بعد هذا العرض، ما سنحاول برهنتَه في القسم التالي. اكتشفنا في القسم الأوَّل من دراستنا مكانة نصّ خر ١٥: ٢٢-٢٧ في مطلع مسيرة الشعب في الصحراء. هل يُمكننا اعتباره نصًّا بدئيًّا لهذه المسيرة؟ بمعنى آخر، هل يحتوي هذا النصّ على بذور ما سيوسِّعه الكاتب المُلهَم في مسيرة الشعب في الصحراء وصولاً إلى أرض الميعاد؟

٣- خر ١٥: ٢٢-٢٧: نصّ بَدئيّ لرواية مسيرة الشعب في الصحراء

بالرغم من صغر حجم هذا النصّ الذي لا يتجاوز ستَّ آيات، نكتشف فيه مُختصَرًا لما سيُوسِّعه الكُتَّابُ المُلهَمون في مسيرة الصحراء، لا بل أبعد من مسيرة الصحراء، حتَّى وصول الشعب إلى أرض الميعاد. نجد في هذا النصّ على الأقلّ سبع محطَّات تُشكِّل سبع ركائز لما سيعيشه الشعب مِن الخروج من مصر إلى الوصول إلى أرض الميعاد. لوحِظ في هذا المجال أنَّ النشيد الذي يسبق نصَّنا مباشرة يتألَّف من قسمَين، اتَّفق مُعظم المُفسِّرين على تسميتِهما: نشيد البحر (خر ١٥: ١-١٠) ونشيد الصعود إلى أرض الميعاد (خر ١٥: ١١-١٨). من هنا نفهم أنَّ الكاتب المُلهم مَهَّد للنصّ الذي ندرسه هنا (خر ١٥: ٢٢-٢٧) بنشيد رسم نقطة البداية (عبور البحر) ونقطة الوصول (أرض الميعاد). يبقى على نصِّنا أن يرسم هذه المسيرة بمحطَّاتها الأساسيَّة السبع.

أ. الأزمات في الصحراء

مِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ شعبًا يسير في الصحراء سيُلاقي صعوبات جمَّة وعلى مستويات متعدِّدة. تحتفظ الفصول اللاحقة (خر ١٦-١٨) بأربع أزمات تختصر جوهر ما سيتعرَّض له الشعب: الجوع والعطش والأعداء والتنظيم الداخليّ. أربع محطَّات تطبع ذاكرة شعب الله الخارج من مصر والسائر في الصحراء: قصَّة المنِّ والسلوى (خر ١٦)؛ قصَّة المياه الخارجة من الصخرة (خر ١٧: ١-٧)؛ قصَّة الانتصار على المديانيِّينَ (خر ١٧: ٨-١٦)؛ قصَّة لقاء موسى مع يترو وتنظيم الشعب (خر ١٨).

في هذا الإطار، إطار الأزمات في الصحراء، يُلاحظ بأنَّ مسألة المياه تتكرَّر أكثر من مرَّة (خر ١٧ وعد ٢٠). يُشكِّل النصّ الذي نحن بصددِهِ مدخلاً ليس فقط لمسألة المياه بل أيضًا لكلِّ الأزمات اللاحقة. يلفت النظر في هذا النصّ قِصره بالنسبة إلى النصوص الأخرى، وهذا دليل آخر على طابعه البَدئيّ-التمهيديّ. فالمُقدِّمة تُعلن المضمون دون أن توسِّعه.

ب. الشكوى

يَرد فعل التذمُّر (לוּן) في مسيرة الصحراء فقط، باستثناء مرَّة واحدة في سفر يشوع. نجده في سفر الخروج (١٦: ٢ و٧ (مرَّتَين) و٨؛ ١٧: ٣) وفي سفر العدد (١٤: ٢ و٢٧ (مرَّتَين) و٢٩ و٣٦ (مرَّتَين)؛ ١٦: ١١ (مرَّتَين) و١٧: ٦ و٢٠). يصير التذمُّر على موسى (وهارون) أو على الربّ. يُلاحَظ في هذا السياق أنَّ المرَّة الأولى التي يرد فيها هذا الفعل موجودة في نصِّنا. أضف إلى ذلك أنَّ موضوع التذمُّر الذي لا ينحصر بالفعل "تذمَّر" فقط هو من الموضوعات

التي تتكرَّر في مسيرة الصحراء حنينًا إلى اللحم والبصل... في مصر؛ وهذا ما جَعل أحدَهم يقول: كان من السهل على الربِّ أنْ يُخرج شعبَه من مصر، لكنَّ الصعوبة تكمن في إخراج مصر من قَلب شعبِه[٧]. من هنا نستنتج أنَّ ورود فعل "تذمَّر" للمرَّة الأولى في الكتاب المقدَّس في نصِّنا يمنح نصَّنا بوضوح تامِّ الطابع الافتتاحيّ لموضوع تذمُّر الشعب. من جهة أخرى، يُلقي تذمُّر الشعب على موسى أو على الربّ الضوءَ على ميزة خاصَّة وواضحة لعبها موسى منذ دعوتِه: دور الوساطة بين الربِّ والشعب.

ج. دور موسى الوسيط

لا يُمكننا أن نحصرَ انطلاقة دور موسى الوسيط في نصِّنا، لأنَّ وساطتَه بدأت من مكان آخر. نقرأ أوَّل دعوة لموسى في الفصل الثالث من سفر الخروج: "فالآن، إذهَبْ! أُرسِلُكَ إلى فرعون. أَخرِجْ شعبي بني إسرائيل من مصر" (خر ٣: ١٠). جاءت هذه الوساطة بعد أنْ تنهَّدَ بنو إسرائيلَ من عبوديَّتِهم وبعد أنْ صرخُوا وصعد صراخهم إلى الله، فسمع الله أنينهم... (٢: ٢٣-٢٤). نجد رواية أخرى لدعوة موسى في الفصل السادس من سفر الخروج (٦: ٢-١٣) وفيها يُكرِّر الكاتب المُلهم ذكر أنين بني إسرائيل (٦: ٥) ودعوة موسى لإخراجهم من أرض مصر.

تنتهي مع النشيد في مطلع الفصل الخامس عشر (١٥: ١-٢١) مرحلة أولى من دعوة موسى ووساطتِه لإخراج الشعب من مصر. من هنا نستنتج أنَّ نصَّنا (١٥: ٢٢-٢٧) يفتتح مرحلة جديدة تتكامل مع دعوة موسى الأولى. يُستَكمل إخراج الشعب بقِيادتِه في الصحراء وصولاً إلى أرضِ الميعاد. أيضًا، سوف يظهر جليًّا دور موسى في المرحلة الثانية[٨]. وَما ذِكر تذمُّر الشعب على موسى واستجابة الربِّ لطلبِه، إلاَّ إبراز لوساطة موسى في هذه المرحلة الجديدة من المسيرة. بكلمة واحدة، يُشكِّل نصُّنا مُقدِّمة واضحة لما هو معروف عن دور موسى في قيادة الشعب في الصحراء وفي وساطته بين الربّ والشعب. تأتي الشريعة كتتويج لجوهر هذه الوساطة الموساويَّة.

د. الشريعة (الفريضة والحُكم)

إنَّ الكلام على الشريعة في نصِّنا واضح من خلال تكثيف المرادفات التي تُشير إلى ما سيناله موسى على جبل سيناء: فريضة-فرائض، حُكم، قَول الربّ، المُستقيم في عَينَيه، وصاياه (١٥: ٢٥-٢٦). من جهة أُخرى، يعتبر مُعظم المفسِّرين أنَّ الفعل المُستعمل في مطلع الآية ٢٥ يُحضِّر للكلام على الشريعة؛ فالفعل العبريّ الذي ترجمناه "وأراه" (וַיּוֹרֵהוּ) من جذر (יָרָה) هو نفسه أعطى كلمة "توراة" (شريعة). نُشير إلى أنَّ النصّ لا يوضح ماهيَّة هذه الفرائض والوصايا، لأنَّه لا يهدف إلى تفصيل مضمونها؛ يكتفي فقط بالتلميح إلى وجودِها. غياب شريعة معيَّنة في نصِّنا هو مفتاح تفسيريّ. من هنا نعتبر أنَّنا أمام كلام يُمهِّد لنزول الشريعة على موسى خلال مسيرة الصحراء (خر ١٩ وما يليه)؛ فالكاتب المُلهم يُحضِّر "أدبيًّا" للشرائع والأحكام التي سيوسِّعها سفر الخروج وسفر اللاويِّين (الأحبار). يعرض الربُّ أن تكون الشريعةُ الوسيلة التي يحيا بها إسرائيل معه في الصحراء.

---

[٧] استشهاد من الذاكرة.

[٨] من أجل إبراز بعض جوانب من شفاعة موسى، يُمكن العودة إلى محاضرة الأخت باسمة الخوري في سياق هذا المؤتمر.

هـ. الربُّ المُمتحن

يظهر في نهاية الكلام على الفريضة والحكم موضوع آخر هو موضوع الامتحان أو التجربة. يُشير الكاتب إلى هذا موضوع بشكل مُقتضب، لا بل بكلمة واحدة (נִסָּהוּ: امتحنَه). لا يخفى على القارئ المتنبِّه أنَّ موضوع التجربة يخترق مسيرة الصحراء ويرد في روايات متعدِّدة في هذه المسيرة. يظهر على الأقلِّ أربع مرَّات في ثلاث روايات (١٥: ٢٥؛ ١٦: ٤؛ ١٧: ٢ و٧).

في النصوص التي تلي نصَّنا، ترتبط التجربة بشريعة واضحة. يمتحن الربُّ بني إسرائيل، في رواية المنّ، بوصيَّة صريحة متَّصلة بجَمْع المنّ (١٦: ٤). بالمُقابل، سوف يمتحن الشعبُ الربَّ في رافديم، مُتسائلين إذا كان الربُّ حاضرًا معهم (١٧: ٢ و٧). يظهر الموضوع من جديد خلال إعطاء الوصايا العشر. بعد سماع الشعب مباشرة الصوت الإلهيّ كشريعة، سوف يشرحها موسى على أنَّها تجربة لمعرفة إذا كانُوا سيخافون الله (٢٠: ٢٠). يعود الموضوع مرَّة أخيرة في رواية الجواسيس (عد ١٤: ٢٢)؛ ترد هذه الرواية بعد كَشف الشريعة في المرحلة الثانية من مسيرة الصحراء (عد ١١-٢١). تُصبح تجربة الشعب لله تمرُّدًا لأنَّهم لم يسمعُوا صوت الله.

يبرز مِمَّا تقدَّم أنَّ رواية خر ١٥: ٢٢-٢٦ تفتتح فترة الاختبار في الصحراء من خلال إبراز العلاقة بين الشريعة والتجربة. يُلاحظ أنَّ اقتراح الربّ في ١٥: ٢٦ بشأن الشريعة يُكرِّر الاقتراح في ١٩: ٥ بشأن العهد؛ لكنَّ اقتراح العهد يتمُّ في ٢٤: ٣-٨ عندما يُقدِّم موسى شريعة العهد للشعب طالبًا موافقتهم. الاحتفال بالعهد (٢٤: ٣-٨) يُنهي حقبة الاقتراح الإلهيّ. بالتالي، تتميَّز هذه الحقبة (١٥: ٢٢ — ٢٤: ٨) بالتجربة. تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنَّ نصّ مياه مارَّة يجعل من الفريضة والحكم "تجربة"، في حين أنَّ هذه "التجربة" غير مُحدَّدة في هذه الرواية (١٥: ٢٥). مِن هنا نعتبر أنَّ هذا "الإبهام" في التجربة الواردة في نصِّنا يجعلها تمهيدًا لسائر تجارب الصحراء. سوف توسِّع بقيَّة روايات مسيرة الصحراء، وبطرُق مختلفة، كيف سيكون الربُّ حاضرًا مع إسرائيل، وما هي الفرائض التي على إسرائيل تطبيقها من أجل أنْ يحيَوا في حضور الله.

و. الربُّ الشافي

تخطِّي التجربة يوصِل إلى الخلاص. يَعد الربّ بَني إسرائيل بإبعاد ضربات مصر عنهُم إذا سمعوا صوتَه وحفظوا أحكامه وفرائضه. إنَّه الربّ مُعافي بني إسرائيل. يظهر موضوع الربّ الشافي في نصوص متعدِّدة، إنْ في كتب الشريعة، وإنْ في كتب الأنبياء أو الأسفار الحكميَّة. لا ينحصر موضوع الشفاء بالأمراض والعاهات الجسديَّة، بل يشمل كلَّ النواقص والخطايا. يترادف الشفاء مع الخلاص.

"أنا الربّ شافيك"؛ هذه العبارة التي ترد في نصِّنا لا تتكرَّر في الكتاب المقدَّس. يُشكِّل شفاء الربِّ، في المعنى الواسع للشفاء، موضوعًا يخترق مسيرة الصحراء بمجملها. على المستوى الحرفيّ، يتمُّ وعد شفاء الربِّ الوارد في مطلع مسيرة الصحراء في نهاية هذه المسيرة، في قصَّة الحيَّة النحاسيَّة (عد ٢١: ٤-٩)، حيث يتكلَّم الشعب من جديد على الله وعلى موسى، ويحنُّ إلى مصر. إنها شكوى إسرائيل الأخيرة قبل دخولهم إلى سهول موآب (٢٢: ١). يتمُّ شفاء

الربّ عندما أمر الربُّ موسى أن يبني الحيَّة النحاسيَّة لشفاء إسرائيل من لدغات الحيَّات نتيجة تذمُّرهم. في الواقع، تتخطَّى قوَّة الشفاء التي يعرضها الربُّ في نصِّنا (١٥: ٢٦) مسألة شفاء الحيَّة النحاسيَّة لتشمل مجمل أعمال الربِّ الخلاصيَّة في الصحراء. تُشكِّل إذًا قدرة الربِّ على الشفاء برنامجًا لمسيرة شعب الله في الصحراء نحو أرض الميعاد.

ز. الوصول إلى الاستقرار؛ استباق أرض الميعاد

مِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ الآية الأخيرة في النصّ تورِد أعدادًا رمزيَّة في حياة بني إسرائيل: اثنا عشر سبط، أبناء يعقوب، وسبعون نفسًا، مجمل الذين هُم من نسل يعقوب (تك ٤٦: ٢٧؛ خر ١: ٥). أخذ العدد سبعون رمزًا آخر: شيوخ إسرائيل السبعون (خر ٢٤: ١؛ عد ١١: ١٦). من جهة أخرى، تُبرز هذه الآية، في مطلع مسيرة الصحراء، استقرارًا بعد تخطِّي صعوبة الماء. يختصر هذا الوصول إلى الاستقرار جوهر عمل الربّ مع بني إسرائيل: الربّ قادر على مُتابعة خلاصه (بعد تحريره شعبه من مصر) في مسيرة الشعب الصعبة في الصحراء؛ يُعطي القدرة لموسى ليكون وسيط خلاصِه وشفائه، مُحوِّلاً الشرَّ إلى خير خلاصيّ والمرارة إلى حلاوة وعلامات الموت إلى حياة وخلاص. إيليم، في بداية المسيرة، هي العربون الصريح أنَّ لمسيرة الصحراء نهاية سعيدة. وكما أوصل الربُّ الشعب إلى إيليم، يوصله كذلك إلى أرض الميعاد. بكلمة واحدة، نرى أرض الميعاد منذ بداية المسيرة: تظهر الصحراء مكان اكتشاف طُرق متعدِّدة يرافق الله فيها إسرائيل في مسيرهم نحو أرض كنعان.

خاتمة

أظهرت دراستنا هذه مرَّة أخرى أهمِّيَّة القراءة التزامنيَّة (السنكرونيَّة) لنصوص الكتاب المقدَّس. فالكاتب الأخير للنصوص الكتابيَّة هو الكاتب المُلهَم. بالطبع لا ننفي الإسهامات التي تقوم بِها القراءة التاريخيَّة–النقديَّة وبخاصَّة في أسفار الشريعة الخمسة، لكنَّنا نُشير إلى أنَّ القراءة التعاقبيَّة (الدياكرونيَّة) لا تخلو في معظم الأحيان من الفرضيَّات التي قد تتبدَّل بحسب المفسِّرين، في حين أنَّ التوقُّف عند النصّ الكتابيّ في حالته النهائيَّة يُشكِّل ضمانة تفسيريَّة أفضل.

من جهة أخرى، أسهمت قراءتنا للنصّ الكتابيّ النهائيّ في لفت النظر إلى المعطيات الأدبيَّة التي يضعها محرِّر النصّ الأخير من أجل إبراز المعنى الذي يودّ التركيز عليه. برهنَّا الطابع البدئيّ لنصّ خر ١٥: ٢٢–٢٧، واختصاره للمحطَّات اللاحقة في مسيرة شعب الله في الصحراء بعد خروجه من مصر. من هنا نعتقد، وهذا يبقى سؤالاً مفتوحًا للبحث، أنَّ دراستنا تفتح الباب على تصميم جديد للروايات الواردة في مسيرة الصحراء، أو على الأقلّ تُعطي مفاتيح تفسيريَّة جديدة لتلك الروايات.

المراجع

DOZEMAN Thomas B., *Exodus*, Eerdmans Critical Commentary, USA, 2009.
GIBERT Pierre, *Bible, mythes et récits de commencement*, Parole de Dieu, Seuil, Paris, 1986.
HAMILTON Victor P., *Exodus. An Exegetical Commentary*, Baker Academic, USA, 2011.

MICHAELI Frank, *Le livre de l'Exode*, Commentaire de l'Ancien Testament II, Delachaux et Niestlé, Neuchatel (Suisse)-Paris, 1974.
WÉNIN André, « L'Exode, passion et patience de Dieu », *Le Monde de la Bible* 211 (2014) 18-29.
WIÉNER Claude, *Le livre de l'Exode*, Cahiers Évangile 54, Cerf, Paris, 1985.